تاريخ الإرسال: 2014/04/14 - تاريخ القبول للنشر: 2014/05/25 تاريخ النشر: 2014/06/29

الشيخ محمد رشيد رضا والوحدة العربية

بن جلول هزرشي

جامعة زيان عاشور – الجلفة

إرتبط هدف النهضة الذي تبناه عدد كبير من المصلحين العرب منذ نهاية القرن 19م وحتى بداية القرن 20م بتجاوز حالة التخلف والتبعية، التي كرسّها الاحتلال الأجنبي، وتحقيق الرقي والتطور في جميع المجالات . ولتجسيد ذلك الهدف تعددت المداخل والرؤى، غير أن الدعوة إلى الجامعة الإسلامية والوحدة العربية قد طغت على الفكر السياسي لأغلب أعلام الفكر والإصلاح العربي والإسلامي. وعلى ضوء ذلك نتساءل : ما هي رؤية الشيخ محمد رشيد رضا للوحدة العربية ؟ وما هي العوامل والظروف التي تحكمت في دعوته للوحدة ؟ .

مفهوم العروبة لدى رشيد رضا:

رغم التركيز الكبير الذي أولاه الشيخ لفكرة الجامعة الإسلامية والرابطة العثمانية منذ بداية حركته الإصلاحية، إلا أن هناك الكثير من الأدلة والشواهد تؤكد أن العروبة كانت تحتل موقعا هاما في اهتماماته بالنظر إلى أن العرب يتميزون عن جميع الأمم التي اعتنقت الإسلام. فالإسلام لدى العرب ليس مجرد رسالة سماوية تم اعتناقها فحسب، ولكنه كان القاعدة الأساسية التي اعتمدوا عليها في عملية التحول من مجرد كم مهمل إلى رقم فاعل في معادلة القوى خلال تلك الفترة .كما أن الرسول (ص) كان عربيا ، والإسلام نزل بلغة العرب ، ولذلك اعتبر الشيخ أن إصلاح العرب مقدمة للإصلاح الإسلامي الشامل. والمطّلع على نصوص رشيد رضا المبثوثة في مؤلفاته خاصة في مجلة المنار يمكن له أن يحدد جملة من الأفكار تساعد على ضبط مفهومه للعروبة.

مبدئيا يمكن القول أن مفهومه للعروبة مفهوم حضاري ، غير عرقي ، متفتح على جميع طبقات

المجتمع بكل مكوناته الاثنية والدينية ، وبالتالي لا أثر فيه لمفاهيم العنصرية القائمة على أساس التعصب للجنس . وتقوم العروبة عنده على أسس محددة هي :الدين، واللغة، والوطن مرتبة حسب أهميتها .فمن تكلم العربية فهو عربي حتى ولو كان أعجميًا(1) .وهي عنده عروبة الدين واللسان حيث تسع المخالف في الدين بحكم روابط الوطن والمصالح المشتركة(2).ويتضح أن إخوة الجنس تلعب دورًا كبيرًا في تصور رشيد رضا للأمة. فالأخوة الجنسية ليست بالضرورة العصبية الجنسية التي نهى عنها الإسلام.

وثمة أفكار كثيرة في المنار تحدد من خلالها المقومات التي تجعل العرب أمة واحدة. فقد كتب سنة1917 : " وأما غير المسلمين العرب، فهم الآن كالمسلمين ليس لهم دولة ، ولأن يكون لأبناء جنسهم دولة خير لهم من أن يكونوا تابعين لدولة أعجمية لا يشاركون في النسب ولا في اللغة ولا في العادات والتقاليد ، ولا في الوطن الجغرافي، ولا في الدين ، ولا لدولة أعجمية يشاركها بعضهم في الدين والمذهب أو في الدين دون المذهب

دون سائر مقومات الأمم ومشخصاتها›› (3).

يبرز هذا النص أن الشيخ يؤمن بأن أبناء الجنس الواحد أمة قبل أن تكون لهم دولة مستقلة ، وأن الروابط التي تجعل منهم أمة هي النسب، واللغة، والعادات، والتقاليد ، والوطن الجغرافي والمصالح المشتركة . ومن جهة أخرى فإن وصفه للدولة غير العربية ‹‹ بالدولة الأعجمية›› يحمل دلالات فكرية وتاريخية.ولذلك فالعقيدة الدينية، والرابطة القومية، والمشاعر الوطنية هي مجموعة مستويات يتحرك ضمنها الإنسان بدون تناقض أو تعارض، وعليه فلا الإسلام نافيًا للعروبة، ولا العروبة مجافية للخصوصيات الوطنية، ولا الانتماء الوطني مناقضًا للروابط القبلية والعائلية بمفهومها الاتحادي النابذ للتعصب(4).

واللافت للإنتباه في هذا الإطار أن الجذور التاريخية لفكرة العروبة كامنة أساسا في حركات التجديد الإسلامي، التي يشكل رشيد رضا أنموذجا لها .فالوهابية التي تنسب إلى محمد إبن عبد الوهاب (1700م – 1792م) دعت إلى قرشية الخلافة من حيث أنها تأكيد على عروبة الحكم والقيادة، ولم تكتف بذلك بل أقامت دولة عربية وحاربت في سبيلها العثمانيين. وموقف السنوسية التي أسسها محمد ابن علي السنوسي (1787 م – 1859م) بما تمثله من موقف غير ودي إزاء العثمانيين والزحف الاستعماري ،والمهدية التي أسسها محمد احمد المهدي ثارت ضد الأتراك مؤكدة على عروبة السودان ،وكانت بالتالي رافدًا من روافد حركة اليقظة العربية والإسلامية الحديثة(5).

وفي نفس الاتجاه أكد مصلحون إسلاميون آخرون على رابطة العروبة.فالأفغاني سعى سواء من خلال نضاله وكتاباته، أو من خلال حواره ومناقشته للسلطان عبد الحميد الثاني إلى إقناعه بضرورة أهمية تعريب الدولة(6) ، والكواكبي إعتبر ، أن العرب هم الأقدر على قيادة المسلمين وتجديد الإسلام ، وحمل رايته عكس الأتراك الذين إعتبرهم مجرد بناة مملكة سياسية ومتاجرين بالدين(7) .كما يظهر إبراز رشيد رضا لدور العرب في أنه وعلى الرغم من أن المنار كان يدعو إلى الوحدة الإسلامية ، فإنه ظل مقتنعا بأن مجد الإسلام إنما يحفظ بمجد العرب ، وأنه لا بد من السعي لحفظه بالوحدة العربية على أن لا يخل هذا المسعى بسيادة الدولة العثمانية، ويهيج الدول الأوربية(8).

عموما يمكن تقسيم إهتمام رشيد رضا بالقضايا العربية إلى مرحلتين متمايزتين ارتبطت كل واحدة منها بالتحولات الداخلية والعوامل الخارجية.

أ/مرحلة السلطان عبد الحميد الثاني:

إقتصرت مطالب الشيخ العربية خلال هذه المرحلة على التنويه بدور العرب في خدمة الإسلام ونشره، وإبراز مساهماتهم العلمية ودورهم الحضاري، وقدرتهم على قيادة البشرية . والدارس لتفكير رشيد رضا السياسي يستنتج أنه وظّف قراءته الجيدة للتاريخ في خدمة مطالبه وأفكاره السياسية من خلال إبراز خشية الأوربيين من الوحدة العربية رغم تنافسهم لتجزئة الدولة العثمانية.والشاهد على ذلك تجربة محمد علي وإبنه إبراهيم باشا. حيث شجعت الدول الأوروبية على تصادم محمد علي بالحركة الوهابية، لأنه يخدم مصالحها، بينما أحبطت محاولتهما لتوحيد مصر وبلاد الشام والوصول إلى الأستانة.وتأكيدا على أهمية العرب يضيف الشيخ: " والعرب عز الإسلام وبيضته وبلادهم منبع حكمته، ومنبعث أشعته فيها أسس بنيانه، وفيها تقام أركان ومهما سلمت الأمة العربية وبلادها فإن النفوس تظل مطمئنة راجية أن يعتز الإسلام بها يوما من الأيام"(9). ويضيف أنه على الأمة العربية أن تسعى في تقوية نفسها وحفظ وحدتها، وطالب المسلمين بتقديم يد المساعدة لها لأنها روح الجامعة

الإسلامية(10).

وحسب تقديري فإن المكانة الكبيرة التي أولاها الشيخ للعرب دون غيرهم من الأجناس المسلمة الأخرى مردها إلى نزول القرآن عليهم ، وأنهم الأجدر بمعرفة الدين وفهم حقيقته ، وان أزهى العصور وأكثرها إشراقا في التاريخ الإسلامي هي التي كانت فيها القيادة للعرب وأن بداية الضعف الداخلي، والجمود الحضاري، والتراجع التاريخي بدأت عندما أصبحت القيادة بيد الأعاجم. كما يظهر إعتزازه بالعرب من خلال إستناده إلى الأحاديث النبوية الشريفة لإبراز مكانة العرب في الإسلام ، وتكريم الرسول) ص (لهم . وفي هذا الإطار بعث إليه قارئ للمنار من مصر رسالة يسأل فيها عن صحة سند الحديث النبوي القائل " أنا عربي وليس العرب مني " والذي إعتمد عليه بعض الترك في ذم العرب.فأجاب أن هذا الحديث مختلق عن النبي (ص). وذكر مجموعة من الأحاديث التي يعتز فيها الرسول (ص) بالعرب مثل قوله " أحب العرب لثلاث:لأني عربي، والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي". وقوله(ص) (إن اللّه إختار من آدم العرب ، وإختار من العرب مضر ومن مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار ، فمن أحبَّ العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم وقوله (ص) "لا يبغض العرب إلا منافق" وقوله (ص)) :(إذا ذلّت العرب ذل الإسلام((.وأكد أن الذين يتعمدون إذلال العرب وإهانتهم إنما ينتقمون من الإسلام ، وختم مقالته بالدعاء التالي)) : اللهم أعز الإسلام وأعز العرب ، اللهم وأعز من أعز العرب وأذل من أذلهم إلى يوم القيامة"(11) .

ورغم إشادته بالعرب وتنويهه بدورهم التاريخي ، وعظمة حضارتهم وقيادتهم للمسلمين ، فإنه لم يتوسع في ذلك مراعاة لعدم إشعار العثمانيين بتفوق العرب عليهم من جهة ، وعلى أساس أن الإشادة بالعرب، والمقارنة بينهم وبين العثمانيين قد يفهم منه طعن في خلافة العثمانيين المسلمين ،في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تمر بفترة صعبة. ولكن هل يعني ذلك إيمانه وإقتناعه بأحقية العثمانيين في خلافة المسلمين وقيادتهم ؟.

الواقع أنه لم يسلِّم بذلك، ولكنه أقام إعترافه على أنها خلافة تغلب وضرورة، ولذلك ظلَّ يدعو إلى أن الجنسية العثمانية هي الأنسب لجمع كافة عناصر الدولة. ومن جهة أخرى نفى عن نفسه أي مسعى للدعوة إلى خلافة عربية، أو إقامة كيان سياسي عربي منفصل عن الدولة العثمانية(12). كما نفى تهمة الانفصال عن أمراء العرب والخديوي عباس(13). وأكّد أن زعماء العرب في سوريا،والعراق كانوا أشد تعصبا للترك من الترك أنفسهم ،حتى أنهم كانوا يفضلونهم على العرب ، ويسترون ما يعرفون من سيئاتهم ، ويكبرون الصغير من حسناتهم(14). وقد ربط فكرة إستبعاد إنفصال العرب عن الدولة وتمسكهم بها بعاملين رئيسيين:

1–دور الإسلام في إزالة العصبية الجنسية لدى العرب.

2–خوفهم من السياسة الإستعمارية لأوربا وما قد يترتب عنها من سيطرة وإحتلال(15).

عموما إرتكزت مطالب الشيخ في عهد السلطان عبد الحميد الثاني على زيادة الإهتمام بالعنصر العربي وتنشيطه، وتوفير كافة وسائل القوة المادية والعلمية، والمشاركة في إدارة الدولة، ولم تتعداه إلى مطالب تمس بوحدة الدولة.ويعود ذلك في نظري إلى أن فترة السلطان قد ارتبطت بفكرة الجامعة الإسلامية ، التي إعتمد عليها في الدفاع عن الدولة ، والوقوف في وجه التحديات الخارجية . ولكن هل كان الشيخ في هذه الحالة يؤمن بعدم قدرة العرب على إقامة دولة خاصة بهم ؟. الواقع أنه كان يؤكد دوما على أن العرب يملكون كل مقومات الدولة، ولكن المانع الوحيد هو أن السعي لإقامتها يترتب عنها بالضرورة زوال الدولة العثمانية واستيلاء الأجانب

عليها.

ب/فترة حكم الاتحاديين:

تعتبر فترة الإتحاديين فترة هامة في تفكير الشيخ السياسي.فخلال تلك الفترة خفت صوت الجامعة الإسلامية،وتوارت فكرة الجامعة العثمانية،وإنكشفت سياسة الإتحاديين المتطرفة، ورغم ذلك فإن الإطار العام لسياسته إستند على مبدأ التآخي بين العنصرين ، وتحقيق أكبر قدر ممكن من التعاون والتفاهم ، مع الميل إلى إبراز العنصر العربي أكثر من ذي قبل ، وإعتبار العرب الشريك الحقيقي للأتراك في الدولة ، وأنهم يملكون مقومات كثيرة يمكن للدولة الاعتماد عليها كعدد السكان ، وضخامة الإمكانيات الإقتصادية.

ورغم إستمرار السياسة العنصرية للإتحاديين، ويأس العرب منهم فإنه لم ير مصلحة في إعلان العرب إستقلالهم، وظل يدعو إلى ضرورة المحافظة على الدولة العثمانية وحمايتها من الأخطار الخارجية(16) ، مع التأكيد على أهمية اللامركزية كصيغة تساهم في تقوية الروابط بين العرب والأتراك وحل يضمن وحدة الدولة. وهذا عكس ما ذهب إليه وميض نظمي عندما قال أن رشيد رضا بحكم منطلقه، ودعوته للإصلاحات الدينية، والتجديد، والعروبة كان من الناحية .الموضوعية يزعزع أسس الإمبراطورية العثمانية(17).

ومن خلال القراءة التاريخية لحركات الإصلاح الإسلامي يمكن القول أن تيار التجديد الديني أدرك أن العروبة لا تعني العداء للجامعة الإسلامية ، بل تعني عقد لواء قيادة المحيط الإسلامي الكبير للأمة العربية(18)، وأن الإسلام كان : ''سبيلا لاتساع دائرة العروبة بالمعنى القومي ذي المضمون الحضاري وتلك قمة الامتزاج بين العروبة والإسلام''(19) . وهذا ما أكّده أحد الباحثين عندما قال أن الأهمية والإعتبار الأساسيين اللذين كان العرب يتمتعون بها بوصفهم حملة العقيدة الإسلامية ،ووكلاء حضارة قديمة قد ساعدا على إبراز هوية عربية ذات ملامح إسلامية كما فعل رشيد رضا(20).

إن دراسة العروبة في فكر رشيد رضا تبرز أن إظهار الكيان العربي ، والدعوة إلى الوحدة العربية كانت من إهتمامات أبرز المصلحين كالأفغاني، وعبده، والكواكبي(21) .وأن فكرة العروبة لم تكن وليدة تأثر بفكرة القومية في أوربا ،إنما كانت نتيجة سعي أولئك المفكرين في تحقيق إصلاح ديني وسياسي في الدولة العثمانية ، فإصطدموا بالإستبداد والتعصب، وأنهم رسموا عبر مقالاتهم ونضالهم المجرى الرئيسي الذي إتخذته الحركة العربية في الدولة العثمانية ، سواءٍ من خلال تركيزها على أهمية المحافظة على وحدة الدولة ، أو من خلال المطالبة بحقوق العرب فيها بإعتبارهم يشكلون العنصر الأكبر ، وأن العروبة في تلك الفترة ولدت في رحم تيار إسلامي، ولم تولد في جو انفصالي عن الخلافة العثمانية(22) . يضاف إلى ذلك أن المصلحين المسلمين، ومن خلال إدانتهم للإسلام العثماني بعد أن تحول إلى مذهب مغلق يفتقر إلى العقلانية، ويبرر الإستبداد، ودعوتهم إلى العقل والعلم والشورى قد ساهموا بشكل مباشر في إضعاف التبريرات الدينية للسلطة العثمانية .كما أنهم وبدرجات متفاوتة كانوا يمجدون الدور العربي في الحفاظ على الإسلام، وينتقصون من قدرة الأتراك على الدفاع عنه، ويمهدون الطريق لبروز وعي قومي عربي(23) . ومن جهة أخرى ظلّ رشيد رضا يؤكد طول حياته على عروبة مصر ودورها في الوطن العربي ، خاصة بعد أن إتجه عدد كبير من المفكرين المصريين إتجاها إقليميا عماده الوطنية الضيقة وأساسه الانكفاء على الذات.

يتضح من العرض السابق أن سياسة الاتحاديين المتزمتة ، وعدم قدرة الدولة عن الدفاع عن البلدان العربية خاصة بعد إحتلال طرابلس من طرف إيطاليا ، وإنفصال دول البلقان وإستقلالها قد أدت إلى إستحالة التفاهم بين

العرب والأتراك . ولذلك كان على المناضلين والأحرار مواصلة نشاطهم بكل الوسائل . وقد كان الشيخ رشيد رضا واحدا منهم، والذي أسس في هذا الإطار جمعية الجامعة العربية.

2–دوره في الجمعيات السياسية العربية من خلال جمعية الجامعة العربية.

أ–ظروف نشأتها:

ثمة مصدران رئيسيان يمكن الإعتماد عليهما في دراسة نشأة الجمعية ، ومعرفة أهدافها ، وتتبع نشاطاتها :كتابات الشيخ في مجلة المنار ، وما أشار إليه محب الدين الخطيب في مذكراته. يقول رشيد رضا : ''ذهبت للسعي لدى الدولة فيما تحيا به ويحياه الإسلام وتتحد بالعربي أتم الاتحاد ، وبعد معالجة العمل سنة كاملة إقتنعت بأن هذه الدولة غير مستعدة للبقاء ، وأن إنحلالها بأيدي رجالها من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ضربة لازب ، وأن العرب إذا لم يؤسسوا بأنفسهم .لأنفسهم بناء الاستقلال القومي فلا بد من سقوطهم بسقوطها أن لم يسقطوا قبلها بسعيها''(24) . ويقول في مكان آخر : ''عرفت الشريف عبد الله في الأستانة سنة1328 هـ الموافق لسنة سنة1910 '' (25) . كما إلتقى به في القاهرة وعرض عليه فكرة الإنضمام للجامعة العربية وتأييده(26).

هذه المعلومات التي أوردها رشيد رضا تبرز لنا أن فكرة تأسيس جمعية الجامعة العربية تكون قد إختمرت في ذهنه بعد الإنقلاب الدستوري ، وعلى الأرجح سنة 1910 ، وأن تاريخ تأسيسها يمكن تحديده بين عامي 1912و 1913 ، أي بعد الإنكسارات الساحقة التي تعرضت لها الدولة العثمانية بعد إحتلال إيطاليا لطرابلس الغرب وهزيمة البلقان(27).

ب –أهدافها ومبادئها:

يحدد الشيخ الغرض الذي أنشئت لأجله ، أو الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها بالقول.. : وأما جمعية الجامعة العربية التي أسسناها بعد عودتي من الأستانة فكان الغرض منها أمري أحدهما السعي لاتحاد حلفي بين أمراء جزيرة العرب ومنع الشقاق. والثاني التعاون على عمران البلاد والدفاع عنها، وللتعاون بين الجمعيات العربية في سوريا والعراق وغيرهما''(28) . ويعتبر قسم الجمعية الوثيقة الوحيدة التي أوردها الشيخ في المجلد الثالث والثلاثين من مجلة المنار والتي تبرز بشكل واضح هدف الجمعية..

والتساؤل الذي يمكن إثارته هنا لماذا قبل رشيد رضا فكرة الجامعة العربية بينما رفض فكرة الجامعة الطورانية التركية ؟ .الواقع أن الإجابة تكمن في الإختلافات الجوهرية بين الجامعتين. فبينما ساهمت الدعوة إلى الجامعة الطورانية في وقوع الأقاليم غير التركية تحت السيطرة الإستعمارية، فإن الجامعة العربية كانت تهدف إلى حماية الأقاليم العربية العثمانية من خطر الاحتلال . وبينما كانت الجامعة الطورانية تهدف إلى جمع الأتراك العثمانيين وغير العثمانيين في رابطة واحدة، فإن الشيخ رشيد رضا كان حريصا على أن لا ينضم إلى الجامعة العربية إلا عرب عثمانيون .وبينما اعتمدت الجامعة الطورانية مبدأ تتريك الشعوب العثمانية غير التركية وطمس ثقافتها ، وتشويه تاريخها، فإن الجامعة العربية كانت تهدف إلى حماية العرب والدفاع عنهم .وبينما تبنت الجامعة الطورانية قومية متطرفة ، فإن الجامعة العربية كانت قومية الأساس إسلامية الوجهة(29).

ويتضح أن طابع السرية في العمل والنشاط هو الذي دفعها إلى عدم التوسع في عضويتها ،التي إقتصرت في مرحلتها الأولى على الأمراء والزعماء العرب ، لا سيما حكام الجزيرة العربية. وقد حددت الجمعية جملة من

الشروط للذي يرغب في الإنضمام إليها مثل قراءة قسم مطبوع،والتوقيع عليه .وقد فعل ذلك كل من إمام اليمن، وإمام عسير،وأمير نجد بالإضافة إلى الأمير عبد للّه إبن شريف الحجاز.ومن الشروط الأخرى الإلتزام بأسرارها، وعدم معارضة أعمالها، وتحريم كل عمل يتعارض مع أهدافها،والقيام بكل ما يأمر به مركزها العام،وأن الذي يحنث. بالقسم،أو يلحق أضرارا بالجامعة وأعضائها يستحق لعنة اللّه،والملائكة،وإنتقام الجامعة العربية(30) .

ج –نشاطاتها:

استطاعت جمعية الجامعة العربية ومنذ فترة مبكرة أن توسع من دائرة نشاطها ، وتنجح بالتالي في استقطاب شخصيات فكرية، وقيادات سياسية بارزة إلى صفوفها كرفيق العظم، و الشريف عبد اللّه بن الحسين عام1914 ، الذي أصبح عضوا فيها. ومنذ تأسيس الجمعية وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى ناضلت من أجل تحقيق أهدافها وتجسيد مبادئها مركزة على أهمية العنصر العربي ودوره في الدولة، وطالبت بضرورة منح العرب حقوقهم السياسية وتطبيق نظام اللامركزية(31).

ورغم الهزائم العسكرية المتلاحقة للدولة العثمانية، وإنكشاف ضعفها وعدم قدرتها على إيجاد الحلول الناجعة لوقف حالة التدهور، فإن أعضاء الجامعة ظلوا متمسكين بالرابطة العثمانية ووحدة الدولة .لكن مع تزايد الأخطار المحدقة بالأمة خطت جمعية الجامعة العربية خطوات متقدمة في مطالبها ، من حيث دعوة أمراء الجزيرة العربية إلى الإستعداد والإعتماد على النفس ، لمجابهة أي خطر خارجي، والتنسيق مع دعاة الإصلاح العرب في الشام، وتمتين الوحدة الوطنية بغض النظر عن الإختلافات العرقية أو الدينية. وهي إشارة واضحة إلى سعي القوى الأجنبية استخدام المسيحيين كورقة لضرب مكونات المجتمع العربي بعضها ببعض.وتؤكد هذه الإشارة على إدراك رشيد رضا لمخططات القوى الإستعمارية ، ولعبها على وتر التمايز الديني والإختلاف العرقي ، وتفطنه للنتائج السلبية التي قد تترتب عن ذلك في حالة نجاح سياستها. ويبدو أن جمعية الجامعة العربية كانت تتعامل مع الأحداث بشكل جدلي .فكلما إستفحلت الأخطار ولمست ضعف الإتحاديين كلما طورت مطالبها بإتجاه عربي محض.

وفي هذا الإطار دعت الجمعية إلى عقد تحالف سياسي وعسكري وإقتصادي بين أمراء الجزيرة العربية ، بل أن رشيد رضا دعا إلى تأسيس جناح عسكري لجمعيته تحت إسم ‹›اللجنة العسكرية العربية '' مهمتها إعداد، وتنظيم قوة عسكرية عربية تكون مهمتها الدفاع عن الأراضي العربية(32).

لقد شكّلت الحرب العالمية الأولى دافعا أساسيا لجمعية الجامعة العربية، وبقية الأحزاب العربية لمضاعفة نشاطها، حيث كان يعتقد زعماؤها أن الوقوف إلى جانب أحد الطرفين المتصارعين ستكون عواقبه وخيمة .ولذلك قامت بتحركات واسعة يبرزها محب الدين الخطيب في مذكراته بالقول : ''لقد كان رجال الحركة العربية مثل أعضاء حزب اللامركزية وجماعة الجامعة العربية ، وغيرهم يرون أنه من الضروري مواجهة الموقف وتقرير ما ينبغي على العرب أن يعملوه(33) .ورغبة في الوصول إلى موقف موحد في حالة دخول الدولة العثمانية الحرب، عقد اجتماع في مصر ضمّ الجمعيات العربية تم فيه الاتفاق على إرسال ثلاثة من كبار قادتها للإتصال بأمراء العرب وتوحيدهم' لكنهم فشلوا جميعًا في تحقيق أهدافهم .وخلال هذه الفترة برز نشاط الجمعية بشكل واضح .فقد كتب الشيخ رسالة إلى عاصمة الدولة يدعو فيها الاتحاديين إلى الوقوف على الحياد .وأرسلت الجمعية محب الدين الخطيب للاتصال والتشاور مع أمراء العرب لكن مهمته إنتهت بالفشل . وتجدر الإشارة إلى أن أحد الدارسين للتطورات السياسية والعسكرية التي شهدتها تلك الفترة يشير إلى أن الإنجليز هم الذين اتصلوا بالشيخ عام 1914 وطلبوا منه أن يرسل مندوبين إلى أمراء الجزيرة العربية(34) ' وأنه وافقهم على ذلك وزودوه بمبلغ ألف جنيه بعد أن

سألوه عن النفقات التي يستلزمها هذا المشروع ’وأنه إنتدب لهذه المهمة ثلاثة شباب من العاملين في القضية العربية .وهم محب الدين الخطيب الذي أوفده إلى نجد ’والشيخ محمد القلقيلي إلى بلاد الشام ’والشيخ عاصم رضا أرسله إلى اليمن(35) . واللافت للنظر أنه وبعد التطورات الكبيرة التي شهدتها القضية العربية بعد الحرب العالمية الأولى تغيير إسم الجمعية.الذي أصبح يعرف بـ» :جمعية الوحدة العربية ’«وتغير قسمها وطبيعة عملها ’وأصبحت أهدافها تختلف عما كانت عليه قبل بداية الحرب .فإذا كان هدفها في المرحلة الأولى معارضة الإتحاديين ’ورفض سياستهم العنصرية المتطرفة ’والدعوة إلى تحقيق اللامركزية ’فقد أصبحت بعد الحرب تواجه قوى إستعمارية محتلة للأراضي العربية.

ويتعلق الأمر بفرنسا وبريطانيا تحديدا . ولعل هذا ما يفسر تشبثها بمبادئ قائمة على أساس تأكيد وحدة الوطن العربي ’ورفض التجزئة والإستعمار بجميع أشكاله وصوره ’والإصرار على هدف الوحدة العربية بإعتبارها حاجة طبيعية تترتب على وجود الأمة العربية ’والتي تستمد نشاطها من وجود مقومات حضارية تتمثل في اللغة، والتاريخ، والجغرافيا(36) ’بالإضافة إلى إقتناع رشيد رضا كغيره من المصلحين المسلمين بأهمية دور العرب في قيادة العالم الإسلامي (37).

وقد شهد قسم الجامعة العربية تغييرًا بعد الحرب حيث أصبح يؤكد على ضرورة السعي إلى تأسيس دولة عربية واحدة تتألف من الجزيرة العربية، وفلسطين، وسوريا، ولبنان، والعراق’ وأن يكون نظام الحكم في هذه الدولة المستقلة شوريا لامركزيا ’ وضرورة مقاومة كل ما من شأنه أن يتنافى مع الإستقلال سواء تعلق الأمر بالنفوذ الأجنبي، أو الاستبداد الداخلي.

والواقع أن هذا الإستقلال أصبح هدفا معلنا وقاسما مشتركا بين جميع الأحزاب، والجمعيات بعد الحرب العالمية الأولى ’بعد أن ضلَّ مستبعدا في ظل الدولة العثمانية ’إضافة إلى أن التركيز أصبح منصبا على بلاد الشام، والعراق بالدرجة الأولى.

عموما فقد كانت بصمات رشيد رضا واضحة على جمعية الجامعة العربية مقارنة بالجمعيات والأحزاب التي شارك في تأسيسها .ويعود ذلك إلى أنه هو الذي تولى صياغة منطلقاتها الفكرية، وحدد برنامجها، وقاد نشاطها.

3–موقفه من ثورة الشريف حسين:

أ –تأييده له:

يرى بعض المؤرخين أن إنضمام الإتحاديين إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ’قد شكَّل البداية الفعلية لتخلي بريطانيا عن سياستها التقليدية القائمة على مبدأ المحافظة على الدولة العثمانية لحفظ التوازن الدولي .غير أن تخوف بريطانيا من دعوة السلطان للجهاد ضد الحلفاء، وما قد يسببه من مشاكل وصعوبات، سواء في مستعمرات بريطانيا الإسلامية كالهند ، ومصر، والسودان ’أو المستعمرات الفرنسية في المغرب العربي دفع بريطانيا إلى الإتصال بمجموعة من الشخصيات، والزعامات العربية ’التي تمتلك رصيدا تاريخيا،وثقلا معنويا ودراية سياسية وشهرة واسعة .وفي هذا الإطار بذلت السلطات البريطانية في مصر كل ما في وسعها لتفادي مخاطر الدعوة للجهاد .ولعب الرباعي المكون من السكرتير الشرقي في دار الاعتماد البريطاني المستر رونالد ستورز ’والمقدم ج.ف .كلايتون مدير المخابرات العسكرية في القاهرة ’وهنري مكماهون كمندوب سامي في مصر ’والسير ريجنالد وينجد كحاكم عام في السودان دورًا بارزًا في هذا المجال .فقد تولى ستورز وكلايتون مباحثة الزعماء والشخصيات العربية المقيمة في مصر والذين كان في طليعتهم رشيد رضا ’حيث تم الإتصال به

لإستطلاع موقفه،والتعرف على آرائه .وقد تمحورت تلك الاتصالات حول إقناع العرب بالثورة ضد الأتراك مقابل تعهد بريطانيا بمساعدتهم على إقامة دولة لهم(38) . ويؤكد ذلك بالقول: ((ولما اشتعلت نار الحرب الكبرى وإنضمت الدولة العثمانية فيها إلى الحلف الألماني كان من سياسة الإنكليز فيها أن يستميلوا الأمة العربية إلى الإنضواء إليهم وإلى حلفهم ’والخروج على الدولة العثمانية ووعدهم بأن يكون جزاؤهم على ذلك :الإستقلال وتأسيس دولة عربية جديدة تحيي حضارة العرب الزاهية ’ولعلي كنت أول من أرادوا أن يستخدموه ببث الدعاية لهم في جزيرة العرب وفي الولايات العربية العثمانية ’وكلفوني إرسال مندوبين من قبلي إلى أمراء الجزيرة العربية وجمعيات العرب السياسية في الولايات بذلك))(39).

وقد إتبعت بريطانيا هذه الخطوات بإعداد منشور يحمل نفس المعاني ’وخاطبت به زعماء العرب ’وطلبت من رشيد رضا نشره، وإعلان موافقته على ما تضمنه .غير أنه رفض ذلك رفضا قاطعا بسبب عدم وضوح عباراته’ وأقترح على البريطانيين إصدار تصريح واضح لا يكتنفه الغموض’ولا يحتمل التأويل و القراءات المتعددة’وأن يتعهدوا باستقلال البلاد العربية(40) .ويبدو أن رفض رشيد رضا للمقترحات البريطانية كان قائما على نضج وعيه السياسي،وخبرته التاريخية في التعامل مع البريطانيين ’الذين لا يؤمن جانبهم .وكان احتلالهم لمصر غير المبرر قانونيا ماثلا أمامه .كما تضمن طلب الشيخ وفي كل اللقاءات التي جمعته مع المسؤولين البريطانيين أن تتعهد بريطانيا،وحليفاتها بالتصريح بعدم رغبتهم بالسيطرة على أي جزء من البلاد العربية ’سواء بإسم الاستعمار، أو الحماية، أو الوصاية ’والسماح باستقلالها استقلالا .تاما ’وبحرية اختيار شكل نظامها السياسي’ وبعدم إزالة الدولة العثمانية(41).

وغني عن القول أن الشرط الأخير يؤكد استمرار تمسك الشيخ بالدولة العثمانية كغيره من المصلحين،رغم كل السلبيات ومساوئ الاتحاديين ، مع أن البعض يرى أن الشيخ كان مستعدا للوقوف مع أي حركة سياسية تنادي باستقلال العرب، والحفاظ على أراضيهم بسبب تخوفه من تحول البلاد العربية إلى مناطق نفوذ جديدة للقوى الاستعمارية ، وبالتالي يفقد العرب أملهم في التحرر والإستقلال(42) ، خاصة وأنه أصبح في موقف حرج نتيجة موقفه الايجابي من الإتحاديين،الذين واصلوا إمتهان كرامة العرب،وإزدراء تراثهم وتاريخهم.

ومن النقاط التي رفض الشيخ قبولها ، ودعا إلى تجاوزها موضوع الخلافة على أساس أنها مازالت قائمة في سلطان بني عثمان ، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تؤيد عودة الخلافة للعرب لمصالحها الخاصة . كما دعا إلى ضرورة إلتزام بريطانيا بمساعدة العرب على إقامة مملكة عربية مستقلة لغتها العربية، ودينها الإسلام تشتمل على الجزيرة العربية والعراق وسوريا .إلا أن المسؤول البريطاني رفض هذه المقترحات(43).

لقد دفع يأس البريطانيين من إمكانية إستمالة رشيد رضا ، والتأثير عليه لخدمة مصالحهم العليا إلى وضعه تحت المراقبة ورصد تحركاته وإضعاف تأثيره من خلال محاصرة ما يكتبه في المنار . فقد كتب في تلك الفترة مقالا عنوانه ’’ المسألة العربية ’’ شرح فيه ما كان يخطط للبلاد العربية، لكن البريطانيين لم يسمحوا بنشر ما يتعارض مع مصالحهم، أو ما كان فيه تنبيها للعرب .وعن تلك المراقبة كتب قائلا : ((أكرهتنا على تبديل ما كرهت ، ولا أعني بالمراقبة الانجليزية مراقبة قلم المطبوعات في وزارة الداخلية المصرية التي كان يرأسها إنجليزي أمر بالتشديد في المنار بما لا يشدد في مراقبة سائر الصحف ، لأنه في إعتقادهم أشد تأثيرا في أنفس المسلمين بما له من النفوذ الديني ، وإنما أعني مراقبة السلطة الإنجليزية التي كانت تحول إليها مراقبة المطبوعات في الداخلية ما يكتب في مسائل معينة من أهمها المسالة العربية والحجاز))(44).

وما يؤكد الموقف العدائي الذي إتخذه البريطانيون من رشيد رضا شهادة صديقه شكيب أرسلان الذي يقول

:'' كان يترامى إلينا من وقت إلى آخر أخبار عن مصر ، وما يعمل الانجليز فيها .وجاء في إحدى المرات أن السيد رشيد هو من المغضوب عليهم عند الانجليز لأنهم رغبوا إليه في بث الدعاية الانجليزية ببلاد العرب فلم يستطع أن يجبهم علنا وأظهر شيئا من الموافقة على مقاصدهم على صورة أن يبث الدعوة لفصل العرب عن الترك ، فوافقوه على ذلك ، إلا أنهم فيما بعد قبضوا على كتب تتضمن التحذير من الانكليز أنفسهم ، وقبضوا عليه ، وفكروا في نفيه إلى مالطة في جملة من نفوهم ، وكادوا يفعلون إلا أنهم عادوا ففكروا ، أن نفي الشيخ رشيد رضا قد يقربهم من الأتراك ويزيد الضرر بزيادتهم فتركوه في مصر ، لكن تحت المراقبة الشديدة . والخلاصة أن السيد رشيد رضا لبث إلى نهاية الحرب تحت مراقبة الإنجليز ، ولم يكن كغيره من أعداء الأتراك محلا لثقة الحكومة الانجليزية ، ولا ممن كانوا آلات في أيدي الإنكليز يحركونهم كيف شاءوا''(45).

ورغم ذلك واصل الشيخ نشاطه السياسي ولعب دورًا كبيرًا في التنسيق بين الزعماء العرب من خلال جماعة الوحدة العربية .وأمام يأس البريطانيين من الشيخ رشيد رضا، وتمسكه بمطالبه، وأهدافه قرروا الإتصال بزعماء العرب خارج مصر .وفي هذا الإطار نجح البريطانيون عن طريق ممثلهم في مصر مكماهون بالإتفاق مع الشريف حسين(46) ، وضمه إليهم قبل أن يؤيد دعوة الجهاد التي أعلنها السلطان ضد الحلفاء .وبعد مفاوضات وإتصالات متعددة بين الطرفين تم الاتفاق بتعهد بريطانيا بالمساعدة على قيام دولة عربية مستقلة مقابل التزام الشريف حسين بشق عصا الطاعة، وإعلان الثورة ضد الدولة العثمانية(47) .فماذا كان موقف رشيد رضا من ثورة 1916 وهو الذي ظل متمسكا بوحدة الدولة العثمانية ، وداعيا إلى ضرورة الإتحاد بين العرب والأتراك، ورافضا لأي نزعة إستقلالية ؟وهل ظل متمسكا بآرائه القديمة ؟ أم أنه كيفها وطورها بالنظر إلى المستجدات والتحولات التي كانت المنطقة تمر بها؟.

تعود العلاقة بين الشيخ والشريف حسين إلى الفترة التي تلت إعلان الدستور ، وذلك من خلال اللقاء الذي جمعه برشيد مصطفى بك فهمي كاتب سر الشريف الذي إستشار رشيد في وجوه إصلاح الحجاز ، فقدم له مجموعة من الإقتراحات أبلغها كاتب السر إلى الحسين، ونالت رضاه(48) .ولذلك عندما إندلعت الحرب العالمية الأولى خفّت حدة عداء رشيد رضا للدولة العثمانية، ودعا إلى الوقوف معها ضد الأعداء(49) . غير أن مساهمة الترك في إنبعاث العصبية التركية، وإقتناع العرب بضعف الدولة، وعدم قدرتها على الدفاع عنهم ، وإعدامات جمال باشا الذي) : ((نزع عنه ثوب الرياء والمكر ،ولبس لهم جلد النمر وقتلهم تقتيلا))(50) بالإضافة إلى ظهور بوادر انهزام الدولة العثمانية في الحرب قد دفع رشيد رضا إلى التأكيد على واجب العرب الإحتياط لما يجب إذا سقطت الدولة، أو التفكير في المشروع البديل .كما أن استمرار جمعية الإتحاد والترقي في ترسيخ سياستها المتطرفة في حق العرب جعله يصرح وكأنه يعتذر مسبقا عما قد يفعله العرب دفاعا عن أنفسهم ، وحماية لوجودهم بالقول : ((وقد قلت ولا أزال أقول أن الإسلام قد أبعد العرب عن النعرة حتى صاروا أبعد الأمم عنها ، وأنه لا يقدر أحد على إعادتها إليهم إلا من يتحاملون عليهم من الترك ، فهم وحدهم القادرون على هذا الأمر))(51). ويقسم رشيد رضا التيارات السياسية التي كانت لدى السوريين المقيمين في مصر أثناء الحرب ، وآراءهم حول الدولة العثمانية إلى رأيين:

1–رأي يطالب بضرورة الإتصال بالحلفاء، والتشاور معهم لمعرفة وجهة نظرهم في مستقبل البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية.

2–رأي النصارى السوريين الذين كانوا على ثلاثة إتجاهات :إتجاه يدعو إلى إنضمام سوريا إلى بعض الدول الأوروبية، وإتجاه يطالب بحماية دولة أوروبية مع التأكيد على الإستقلال الإداري، وإتجاه يدعو إلى إستقلال

سوريا، ولكن تحت رعاية الدول العظمى .أما الموقف الذي إنفرد به الشيخ كما يؤكد فقد تمثل في وجوب السعي إلى الإستقلال التام ، وتكوين دولة عربية إذا إنهزم الأتراك وحلفاؤهم(52).

وإنطلاقا من ذلك رحل رشيد رضا إلى الحجاز عام 1916 ، وهي الرحلة التي أثيرت حولها الأقوال،والتخمينات،وتعددت تفسيراتها . فالبعض قال أنه ذهب لأداء فريضة الحج، وإدعى البعض الآخر أنه ذهب مع وفد من سلطان مصر لمبايعة شريف مكة بالخلافة .وقيل أنه ذهب مدعوًا من الشريف لتولي منصب قاضي القضاة أو شيخ الإسلام .وقد كذَّب الشيخ هذه الأقوال، وأكَّد أن ذهابه للحجاز إنما كان بهدف الحج، وليفي بنذر لوالدته ولينصح المسلمين(53). وقد وجد الشيخ كل مظاهر الإهتمام، والترحاب وهو في ضيافة الشريف حسين.

والدراسة المتأنية لما كتبه رشيد رضا حول الثورة تسمح لنا بالقول أنه أيدها في البداية ،ثم إنقلب عليها لاحقا . وقد إرتبط ذلك بالتحولات السريعة التي كانت تشهدها المنطقة. وصف الشيخ الثورة بأنها أعظم خدمة للإسلام(54) ، وإعتبر المنشور الذي أصدره الشريف حسين أصيلا، وحرّض على قراءته .كما دعا إلى تأييده في ثورته،وإعتبره منقذا .كما عدّ جزيرة العرب أحسن مكان لتأسيس دولة إسلامية إذا سقطت الدولة العثمانية نظرا لما تتمتع به من خصائص .بل وإعتبر من يكفر به أنه أكفر الناس بالنعم، ولذلك فإستقلال العرب لا يتعارض مع الإسلام حسب وجهة نظره.وفي معرض كلامه عن ثورة الشريف حسين حدد ستة أسباب دفعته للخروج عن الأتراك وهي:

1-إلحاد الإتحاديين، ومحاربتهم الدين الإسلامي على أساس أنه العقبة الكبيرة التي تقف في وجه تطورهم.

2-عداوة الإتحاديين للعرب، وبغضهم الشديد لهم، على أساس أنهم أعظم أركان الإسلام وأنصاره، ولأنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرهم عددا.

3-أصبح المسلمون بغير إمام شرعي حقيقي مستوف لشروط الشرعية، ولا متغلب يطاع لضرورة جمع الكلمة، بينما أصبح الإتحاديون هم المتصرف الفعلي والوحيد في الدولة.

4-إقتناعه بصعوبة إسقاط الإتحاديين من قبل الأحزاب التركية، وأن مقاومتهم لا تتم إلا بواسطة العرب.

5-إن الإتحاديين قد عرضوا إستقلال الدولة للزوال بعد تحالفها مع الألمان.

6-إن ملاحدة الإتحاديين شرعوا في تنفيذ خطتهم بإذلال العرب كمقدمة لإذلال الإسلام . وتبعا لذلك إعتبر رشيد رضا أن ما قام به الشريف حسين يعد أعظم خدمة للإسلام والمسلمين .فإستقلاله جعل الحجاز تحت سلطة إسلامية خالصة وإعتبرها مقدمة لتأسيس دولة عربية إسلامية كبيرة(55) .وختم مقالته بالتأكيد على أن: ((إستقلاله هذا لا ضرر فيه على الدولة العثمانية ولا على الأمة التركية .وإنما هو كبح لجماح هذه الجمعية الباغية على الإسلام والدولة العثمانية والعرب . فإن سقطت الدولة في هذه الحرب لم يكن إستقلال أمير الحجاز أحد أسباب سقوطها ، وإن سلمت من الحرب ومن هؤلاء الملا حدة وعادت دولة إسلامية قوية لم يكن ما تقدم من إستقلال الشريف مانعا من العودة إلى الوفاق والاعتصام)) (56).

وتبرز خطبته في منى التأكيد على العنصر العربي بشكل لم يسبق له مثيلا .فقد أكَّد أن مسؤولية الدفاع عن الدين تقع على عاتق العرب ، على أساس أن القرآن نزل باللغة العربية ، وأن الرسول (ص) عربي ، وأن الحجاز هي مهبطه ومهده(57) .ولذلك فالهم الأكبر عنده في هذه المرحلة كان هو كيفية إعادة الإسلام لأهله، بعد أن

تولى الأتراك أمره لفترة طويلة من الزمن، وإستخدموه كوسيلة لإذلال العرب .ولذلك فإن الخطبة تشير إلى أن فكر الشيخ السياسي قد إنتقل من تأييد مطلق لسيادة الأتراك، وتبعية العرب لهم إلى تأييد مطلق على سيادة العرب. إن أهم ما يمكن إستخلاصه من الخطبة أن العلاقة بين العروبة والإسلام عضوية . فالعروبة هي إحدى مكونات إنتماء العرب الشامل،والإسلام هو الجامع بين الشعوب ذات التكوين العقيدي الواحد (58) إذ أن آمال العرب بإقامة دولة موحدة وقوية وقادرة على مجابهة أطماع الغرب، هي في حد ذاتها غاية المسلمين الذين يرون مجد الدين وعزته في قوة العرب ومجدهم. وهذا المزج بين مصلحة العرب والمسلمين هو الذي جعله منذ فترة مبكرة من نضاله يدعو إلى نهضة العرب، ويرفع في نفس الوقت من شأن العلاقة مع أبناء الملل من العرب. فمصلحة العرب والمسلمين متوحدة في تلك المرحلة الحاسمة، ونضاله العربي هو نضال للعرب والمسلمين، ونضاله الإسلامي هو نضال للمسلمين والعرب(59) .ولذلك يقول أن : ((العناية بتاريخ العرب والعمل لإحياء مجد العرب هو من العمل للوحدة الإسلامية، التي ما وجدت في القرون الأولى إلا بالعرب ، ولن تعود في هذا القرن إلا أنهم متحدين ومتفقين مع سائر الأجناس ، لأن المقوم لها هو الدين الإسلامي نفسه ، وأما الدين هو كتاب اللّه تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وهما عربيان ، ولا يفهم الدين من لا يفهمهما فهما صحيحا. ولا يفهمهما أحد على هذا الوجه إلا إذا كان يفهم لغتهما الشريفة ومن كان له هذا الفهم فهو عربي بإصطلاحنا ، لأننا لا نعني بالعرب من لهم نسب يتصل بإحدى القبائل العربية فقط ، إذ ليس من غرضنا التعصب للجنسيات ، بل أن هذا ما ننفر عنه ونذمه وننتقد من يقول به))(60) . والواقع أن إشادة رشيد رضا بالعرب، ودعوته إلى وحدتهم، وتأكيده على أهميتهم في حماية الإسلام ليست وليدة 1916 ، ولكنها تعود إلى مطلع القرن العشرين .ففي مقالة كتبها عام 1900 بعنوان ‹‹الوحدة العربية ›› وإن كان قد أثنى فيها على الدولة العثمانية، وتمنى لها القوة والإزدهار ،فإنه ختم مقالته بالتأكيد على أن الخطر الذي يلحق بالإسلام من جراء إستيلاء الأجانب على العرب ((أشد من كل خطر يصيبه من إستيلائهم على غيرهم من العناصر الإسلامية المستقلة كالترك والفرس والأفغان ، وأن كل عنصر من هذه العناصر أكثر إستعدادا من العرب لحفظ وحدته وأنه لا يفيد الإسلام قوة واحد منها ، كما يفيده قوة العنصر العربي . فيجب إذا على الأمة العربية أن تسعى في تقوية نفسها وجمع كلمتها، وحفظ وحدتها))(61) . وينحو الكواكبي نفس المنحى في هذا المجال .فكتابه ‹‹ أم القرى›› وإن كان يبدو وكأنه إستجابة مباشرة لدعوة ‹‹ العروة الوثقى ‹‹في كيفية توحيد المسلمين، وتحقيق الجامعة الإسلامية، إلا أن الجمعية التي إجتمعت في مكة للبحث في النهضة الإسلامية توصلت إلى نتيجة مفادها : ((إن الجمعية ، بعد البحث الدقيق والنظر في أحوال وخصال جميع الأقوام المسلمين الموجودين ، وخصائص مواقعه ، والظروف المحيطة بهم ، واستعداداهم ، وجدت أن لجزيرة العرب ولأهلها –بالنظر إلى السياسة الدينية – مجموعة خصائص وخصال لم تتوفر في غيرهم . بناء عليه رأت الجمعية أن حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم ، لا يقوم .فيها مقامهم غيرهم مطلقا ، وأن إنتظار ذلك من غيرهم عبث محض))(62).

ورغم إعتماد الشيخ رشيد رضا على شواهد كثيرة تؤكد على تميز العرب على الأتراك ، وإنتقاده الدولة العثمانية كإشارته إلى أنها تركز فقط على أخذ الأموال من الأقطار وإنفاقها في الأستانة ، وأنها لا تدع إلا الشيء القليل، فإنه يقول أن المفاضلة بين العرب والترك هو إبراز للحقيقة وخدمة للتاريخ ، ولذلك ظلّ يدعو إلى وحدة الطرفين وخدمة الوحدة الإسلامية التي يجب أن تكون فوق كل جنسية(63).

إن كل ذلك يوضح أن ما ورد في خطبة الشيخ بمنى لم يكن في نهاية المطاف سوى إبرازا لما كان مضمرا، أو كامنا في ذاته من رفض لسيادة الأتراك على العرب ، وأنه ما كان ليستمر لولا الإستبداد الحميدي ، وممارسات الإتحاديين إزاء العرب ونصيحة شيخه بالإبتعاد عن السياسة ، وخوفه على وحدة الدولة.

ب –إنقلابه عليه:

و إذا كان رشيد رضا يحمل الأتراك بروز العصبية العربية، التي قادت بدورها إلى الثورة العربية ، فإنه يكون بذلك قد تخلى عن الحقائق التاريخية ، وأبرز عدم فهمه للمخططات الإستعمارية التي كانت تحاك ضد المنطقة، والقائمة على مبدأ ضرب العناصر المكونة للدولة بعضها ببعض لتسهيل تجزئة الدولة ، وبالتالي خدمة مشروعها الإستعماري .ولذلك فهو يختلف إختلافا جذريا عن موقف زميله شكيب أرسلان الذي كان يتصور أن الخطر الفعلي والأساسي لا يكمن في الأتراك ، إنما في القوى الإستعمارية.فعندما ألحَّ الشيخ على الشريف حسين بضرورة مخاطبة أمراء الجزيرة العربية ، والعمل على خلق وحدة بينهم ، أجابه بأنه لا يمكن إتخاذ خطوات وحدوية في هذا المجال إلا بعد الإستيلاء على المدينة المنورة. عندئذ خاب أمله فيه، وأدرك أن الثورة حادت عن طريقها، وتحولت عن مقاصدها الشريفة خاصة بعد أن بويع ملكا للعرب، وإعترف الحلفاء له بذلك، وجاهر بعداوته الدولة العثمانية. كما أن إنتحال منصب خليفة المسلمين يعد في نظره باطلا، على أساس أنه كان مبايعا للسلطان محمد رشاد، بالإضافة إلى بطلان بيعة أهل الحجاز له(64).

هذا الموقف يتطابق مع موقف محب الدين الخطيب الذي كتب في مذكراته أنه أيد الشريف حسين لخير الأمة العربية، غير أن هذا الأخير عاش ومات بعقلية عصور الإقطاع التي تعتبر الأوطان مزارع للحكام ، كما أن الشريف حسين لم يقم بثورة من أجل أن يكون للعرب دولة ، بل لأن الأتراك كانوا ينووون إبطال شرافة مكة عنه(65). كما أن إنكشاف أمر المراسلات التي جرت بين الشريف حسين ومكماهون قد ساهمت في تأزم العلاقات بين الرجلين . فالشريف حسين الذي كان يتصور أن رشيد رضا من أنصاره أصبح عدوا له .ولذلك أمر بمنع دخول المنار إلى الحجاز ، بل أن جريدة ‹› القبلة ‹‹التي كانت تصدرها حكومة الحجاز شنت على رضا حملة وصلت إلى حد الطعن في نسبه العربي وإتهامه بعداوة، وبغض الشريف حسين (66).

أما رشيد رضا فقد أصبح يجاهر بمعارضته لسياسة أمير مكة، وتحول إلى طرف في الحملة .الإعلامية الموجهة ضده(67) ،وقد كان ذلك مقدمة لشن هجوم على الأوربيين وخاصة بريطانيا ، وتحميلهم كل المصائب التي لحقت بالعرب من جراء إتفاقية سايكس –بيكو. وقد كان من نتائج ذلك أن لجأت بريطانيا إلى فرض رقابة شديدة على الشيخ بمنعه من زيارة وطنه الشام بعد نهاية الحرب العالمية الأولى .ولما أراد السفر من مصر إشترطت عليه الإبتعاد عن ممارسة أي عمل سياسي، وعدم الكتابة في الصحف(68) .وفي ذات السياق رد الشيخ على أولئك المؤيدين لثورة الشريف حسين ، والذين كانوا يزعمون أن تلك المعاهدة قد أمضاها باسم الأمة العربية بالقول : ((ألا أيها النائمون أفيقوا ، ويا أيها المخدوعون بأقوال العائشين على فضلات آكلي أثمان أمتكم تنبهوا فقد آن لكم أن تعلموا أن تلك القصاصة من الورقة التي يسميها الملك حسين مقررات النهضة ويسميها النافخون ببوقه المعاهدة الإنكليزية العربية هي وثيقة من الملك حسين بجعل البلاد العربية كلها حتى الحجاز تحت حماية الحكومة البريطانية)) (69).

عموما ، ومهما إختلفت قراءات المؤرخين، وتباينت تفسيراتهم لموقف رشيد رضا من الثورة العربية ، يبقى الهدف الأسمى الذي كان يسعى إليه في مشروعه السياسي منذ البداية هو إيجاد دولة قوية تأخذ على عاتقها حماية المسلمين، والدفاع عن وجودهم الحضاري بالوقوف في وجه الزحف الأجنبي . ولا فرق عنده أن يقودها الأتراك أو العرب ، كما أن تأييده للثورة إعتبره ضرورة تاريخية يفرضها الواقع ،ومنطق الصراع الدولي ، ذلك أن إنتصار الحلفاء كان سيؤدي لا محالة إلى إحتلال البلاد العربية بإعتبارها جزءا من الأراضي العثمانية . أما انتصار دول الوسط فسيكون مقدمة لخضوع تلك الولايات للهيمنة الألمانية، مع كل ما يتبعها من انتقام للاتحاديين من

العرب.

وتأسيسا على ذلك إعتبر الثورة طوقا للنجاة من الإحتلال لكونها سبيلا لوحدة العرب، وطريقا للدفاع عن كرامتهم وإستقلالهم . كما أن تأييده للثورة نتج بعد سقوط الرهان على الأتراك، وظهور الثورة كمشروع مستقبلي في حالة سقوط الدولة العثمانية.وهذا كله يبرز حقيقة أخرى تتمثل في أنه إذا كان العرب العثمانييون يعتبرون القومية العربية قبل الحرب العالمية الأولى مؤامرة تهدف إلى تدمير الدولة العثمانية وإنهاء الخلافة،فإنه مع نشوء الحرب تغير الموقف إلى النقيض (70) .ورغم ذلك يجب التأكيد على أن رشيد رضا، ورغم وقوفه في صف الثورة فإنه لم يبايع الشريف حسين خليفة للمسلمين رغم تحريض البعض له على ذلك .فالثورة بالنسبة إليه لم تكن تحديا لشرعية الخلافة العثمانية، بل حماية للحجاز من التدخل الأجنبي،والقمع العثماني . ولذلك فإنه في مرحلة لاحقة إنتقد الشيخ الثورة، وعارض صاحبها الأسباب التالية:

1–لم تكتف الثورة العربية بحماية الحجاز من القمع العثماني، بل تحولت إلى معول هدم للدولة العثمانية(71). إذ أنه وبعد أن لعب الجيش العربي دورا في هزيمة الوحدات العثمانية في الحجاز شارك إلى جانب الحلفاء في مقاتلة الجيش العثماني في سوريا.

2–إن الثورة العربية لم تمنع التدخل الأجنبي ، ولكنها فتحت له الباب على مصرعيه.إذ تحولت البلاد العربية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى إلى محمية بريطانية –فرنسية مشتركة.

3–إعلان الملك نفسه خليفة للمسلمين، مع أن الخلافة كما يرى رضا قضية كل المسلمين، ويجب أن تكون مستقلة عن جميع القوى الأجنبية هي إشارة واضحة إلى تأييد البريطانيين له في خلافة المسلمين.

ورغم إنهزام الدولة العثمانية ، وفشل الثورة العربية ، وخضوع المنطقة للإنتداب البريطاني والفرنسي تكريسا لمعاهدة سايكس–بيكو وتجسيدا لمقررات مؤتمر سان ريمو، فإن البحث عن الدولة البديلة التي تدافع عن المسلمين ظل هاجسه الأكبر .ولذلك واصل دفاعه عن القضايا العربية سواء عبر المقالات الصحفية في المنار ، أو المشاركة السياسية كرئيس للمؤتمر السوري العام عام 1919 ودعوته للإستقلال ، ومشاركته في المؤتمر السوري –الفلسطيني كنائب لرئيس المؤتمر في جنيف للدفاع عن القضايا العربية، خاصة قضية الشام على قاعدة حرية الشعوب وسيادتها القومية.

وقد ظل رشيد رضا مؤمنا بأن الوحدة العربية هي الجواب الصحيح على حالة التجزئة التي فرضها الإستعمار. ولذلك ظل يدعو خلال فترة ما بين الحربين إلى وحدة سورية والعراق كمقدمة لوحدة العرب .وفي هذا الإطار ظل رافضا لأي نزعة إنفصالية عن الحركة الإستقلالية في سورية ، سواء بشكلها الذي دعا إليه البطريرك أنطوان عريضة المتمثل بلبنان كوطن مسيحي (72) ،أو لبنان الكبير كما كان يدعو إليه البطريرك إلياس الحويك. كما أن تشبثه بمبادئه وأفكاره جعله يتمسك بأي مشروع يمكن أن يدافع عن المسلمين والعرب.ولذلك نفهم تأييده لعبد العزيز بن سعود ومناصرته، لأنه إعتبره مشروعا إسلاميا بعد أن سقطت الدولة العثمانية. كما يمكن القول أن عددًا كبيرًا من المصلحين العرب ورشيد رضا واحد منهم قد أجبرهم الواقع على تأييد الثورة رغم أن نتائجها لم تكن في مصلحتهم، بل لمصلحة القوى الإستعمارية، والحركة الصهيونية .أي أن العرب قادة،ونخبا،،وشعوبا كانوا :((كمن وقع في حقل من الرمال المتحركة،أية حركة من حركاتهم ، وإن كانت في ظاهرها حركة نحو الإنقاذ وسعيا نحو النجاة ، .إلا أنها في الواقع العملي كانت تشدهم إلى أسفل وتفرقهم في ظلام واستعمار جديد)) (73).

لكن الملاحظة الأساسية التي ينبغي الإشارة إليها أن الشيخ ظل أيضا يلجأ إلى التبرير عند مناقشته للأحداث والقضايا التي كانت تعصف بالمنطقة .وفي هذا السياق نتساءل عن سبب إنقلابه، ونقده للشريف حسين بحكم علاقاته المشبوهة بالانجليز ، ولماذا لم يفعل الشيء نفسه مع عبد العزيز بن سعود رغم علاقته الغامضة بالانجليز أيضا؟.

المهم أنه ورغم كل التناقضات، والمواقف المزدوجة والمتضاربة، التي يمكن أن يسجلها الباحثون والمؤرخون عندما يدرسون فكر رشيد رضا السياسي ، فإن هدفه ظل منصبا على خدمة الإسلام من خلال الدعوة إلى قيام دولة قوية،ومحاربة الإستبداد ، والدعوة إلى الشورى والدستور واللامركزية ، أو من خلال التأييد للإتحاديين وثورة الشريف حسين، ثم الإنقلاب عليهم وصولا إلى تأييد المشروع السعودي ووحدة الأقطار العربية.

إن دعوته للجامعة الإسلامية، ونضاله من أجل الوحدة العربية، ورفضه ومحاربته لأي نزعة إنفصالية على أساس طائفي، أو إثني تجيز لنا القول أنه كان المناضل الوحدوي بإمتياز .وموقفه هذا يتطابق مع موقف محب الدين الخطيب في موقفه من الدولة العثمانية، والذي أكّد بالقول :((إنني أقرر بكل صدق وإخلاص بأني أنا وجميع من استعنت بهم وتعاونت معهم من رجالات العرب وشبابهم لم يخطر على بالنا الانفصال عن الدولة العثمانية)) .(74)

يتضح مما سبق ذكره أن إهتمامات الشيخ بقضية العروبة ليست وليدة الثورة العربية، ولكنها تعود إلى فترة مبكرة من عمله الإصلاحي ونشاطه السياسي .ذلك أن إصلاح وضع العرب ظلّ يشكل بالنسبة له المقدمة الحقيقية، والمدخل الرئيسي للإصلاح الشامل، وقيادة الأمة الإسلامية، بعد أن أصبح العثمانيون في وضع لا يحسدون عليه، بسبب عدم قدرتهم على حماية العالم الإسلامي، والبلاد العربية من الغزو الإستعماري .ومن جهة أخرى فإن مفهوم الشيخ للعروبة كان مفهوما حضاريا بعيدا عن المفاهيم العنصرية، والتعصب الجنسي، والأطر الشوفينية المغلقة .فإهتمامه بالعرب وإنتصاره لهم، وتمجيد تاريخهم وحضارتهم يعود بالدرجة الأولى إلى أن الرسول (ص) كان عربيا، وأن القرآن نزل باللغة العربية، وأن العرب لعبوا دورا كبيرا في نشره .كما أن أكثر الفترات إزدهارا وإشراقا في التاريخ الإسلامي، هي تلك التي كان فيها للعرب مسؤولية القيادة والحكم، وأن فترات الضعف والإنحدار بدأت عندما تولى الأعاجم المسؤولية والقيادة .كما أن الشيخ لم يتوسع في التنويه بعظمة العرب، وإبراز إنجازاتهم العلمية، وعراقة حضارتهم خشية الخوف من أن يفهم من ذلك الدعوة إلى الخروج عن الدولة العثمانية، التي كانت تمثل الخلافة الإسلامية بالنسبة إليه، رغم كونها خلافة تغلب وضرورة. لكن تطرف الإتحاديين وإستمرارهم في تتريك العرب، وممارستهم لكل أصناف التعصب الجنسي على العرب ، وخوفه على مصيرهم ومستقبلهم أمام ضعف العثمانيين، دفع به إلى الإنخراط في الدعوة إلى وحدة العرب .ولذلك أسّس جمعية الجامعة العربية لتوحيد أمراء الجزيرة العربية والدفاع عن العرب وحماية وجودهم بأنفسهم .وقد قاده شعوره القومي، وإحساسه الوحدوي إلى تأييد الثورة العربية التي أعلنها الشريف حسين، والتي إعتبرها مقدمة لتحقيق جملة من الأهداف، لعل من أبرزها تأسيس دولة عربية مستقلة، تدافع عن الإسلام في حال إنهزام الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وكنوع من تحقيق اللامركزية الإدارية التي ناضل من أجلها ضد الإتحاديين .غير أن عدم إلتزام الشريف حسين بوحدة العرب، وتحوله إلى أداة في يد الانجليز بعد إنكشاف الوثائق والمراسلات السرية، دفع به إلى معاداته من خلال المقالات الصحفية التي كان ينشرها في المنار، وإلى مناصرة أعدائه كعبد العزيز بن سعود. ويبدو إهتمام رشيد رضا بالدفاع عن الدولة العثمانية، وحماية العرب ووحدتهم من خلال إبراز الأخطار التي كانت تحدق بهم وفي مقدمتها الحركة الصهيونية.

الهوامش :

1–ينفي الشيخ رشيد رضا تهمة التعصب للجنس العربي بالقول : ((..لا نعني بالعرب من لهم نسب يتصل بإحدى القبائل العربية فقط، إذ ليس من غرضنا التعصب للجنسيات، بل هذا ما ننفر منه وننتقد كل من يقول به .المدنية العربية التي نفتخر بها لم يكن كل رجالها من صميم العرب أصحاب النسب الصريح ، ولكن الأعجمي منهم لم تكن علومه ومعارفه بلغته الأعجمية وإنما كان الباعث عليها والراقي بهمته إليها هو النور الذي أشرق في أفق عقله من سماء البلاد العربية والديانة التي تلقاها باللسان العربي)) .أنظر :محمد رشيد، رضا ، " مدنية العرب «،مجلة المنار، م 3 ، ج 13 القاهرة، 11 ربيع الأول 1318 ه 8 – يولية) تموز 1900 .م ، ص ص: 290،291.

2– يقول رشيد رضا ((إنني عربي مسلم فانا أخ في الدين لألوف الألوف من المسلمين العرب وغير العرب،

وأنا أخ في الجنس لألوف الألوف من العرب المسلمين وغير المسلمين . . .وأنني احمد الله تعالى أن جعل مصلحة العرب السياسية في عصرنا موافقة لمصلحة المسلمين السياسية ((انظر :محمد رشيد، رضا، «المسألة العربية)مقالة للتاريخ«(،مجلة المنار، م 20 ،ج)1 القاهرة، 11 شوال 1335 ه 30 –يوليو 1917 م(، . ص34 :

3–المرجع نفسه ، ص ص36–35.

4– معن ، بشور ، «الإسلام والفكر العروبي المعاصر «،مجلة المنابر، س5 ،ع .49 لبنان ، نيسان1990 ،ص 46

5– محمد، عمارة، «الجامعة العربية . . . .الجامعة الإسلامية«، مجلة المستقبل العربي، ع24 ، لبنان ،فيفري 1981م ، ص ص74،75 :.

6– محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام ، ط2 ، دار الشرق ، القاهرة ، 1988، ص 179 .

7–محمد عمارة ، عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، ط1 ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، 1984 ، ص64 .

8– محمد رشيد، رضا،" إعادة مجد الإسلام «،مجلة المنار ، م 3 ، ج) .4 القاهرة، غرة ذي الحجة1317 ه 1 – افريل 1900 م ، ص78 .

9– محمد رشيد ،رضا ، " الوحدة العربية " ،مجلة المنار ، م 3 ، ج) .6 غرة محرم الحرام 1318 ه 30 – افريل 1900م ، ص122 .

10– المرجع السابق ، ص 124 .

11– محمد رشيد، رضا، «فتاوى المنار«،مجلة المنار، م 16 ،ج .12 القاهرة، 29 ذي الحجة 1331 ه29 – نوفمبر 1913 م ،ص ص 902–900 .

12– يقول رشيد رضا : وقد صرحنا من قبل بأننا لا نعني بالوحدة العربية أن ينفصل العرب على سائر المسلمين أو عن الترك خاصة . .ولكنني لا أنكر إنني أرجو أن يظهر كلامي في قومي الذين يقراونه .ويفهمونه ، وهذا ما يحملني على أن اخصهم بالذكر '' ، رضا، » مدنية» . . .مرجع سابق، ص 293 .

13–.رضا، » المسألة » . . . .مرجع سابق، ص 37 .

14– .المرجع نفسه ، ص 38 .

– 15المرجع نفسه ، ص 41 .

16– رضا ،" المسألة " . . . مرجع سابق، ص ص 45–44.

17– وميض ، نظمي،" ملامح من الفكر العربي في عصر اليقظة وعلاقته بفكرة القومية العربية» ، .مجلة المستقبل العربي، س6 ، ع 52 ،) لبنان ، حزيران يونيو 1983 ، ص،84 .

18–عمارة، » الجامعة » . . .، مرجع سابق، ص 80 .

19– المرجع نفسه ، ص 82 .

20– حسن، قايالي،الحركة القومية العربية بعيون عثمانية1908 1918 ،ترجمة فاضل جكتر،ط.5 – – 1 قدمس للنشر والتوزيع، سورية، 2003 ،ص 72–71 .

21– رضوان، السيد ، أحمد، برقاوي ، المسألة الثقافية في العالم العربي – الإسلامي ، ط 1 ، دار الفكر، دار . الفكر المعاصر، سورية، لبنان، 1998 ، ص 30 .

22– بشور ، » الإسلام » . . . مرجع سابق، ص 55 .

23– –نظمي، » ملامح » . . . مرجع سابق، ص،. 86 أنظر أيضا :طارق، البشري، بين العروبة والإسلام، .ط 2، دار الشروق، القاهرة، 2005 ، ص21 .

24– محمد رشيد، رضا، " الملك فيصل – «العبرة بحياته ومماته" (2) ،مجلة المنار، م 33 ، ج) .7 القاهرة، 12شعبان 1352 ه 30 – نوفمبر 1933 م ، ص 556 .

25– محمد رشيد، رضا، " الملك فيصل – العبرة بحياته ووفاته"(1)، مجلة المنار، م 33 ، ج) .6 القاهرة،11 رجب 1352 ه 31 – أكتوبر 1933 م ، ص 460 .

26–G. ERNEST . DAWN . FROM OTTOMANISM TO ARABISM UNIVERSITY OF ILLINOIS. U.S.A 1973 . P 21

27– سهيلة ، الريماوي، " جمعية الجامعة العربية» مجلة دراسات تاريخية، .العددان،) 40،39 سوريا،كانون الأول(1991 ، ص172 .

28– رضا ، » الملك فيصل – العبرة بحياته ومماته " ....(2) مرجع سابق، ص،557 .

29– أحمد علي سالم ، الإصلاح السياسي عند الشيخ رشيد رضا بين بناء دولة إسلامية نموذجية وإقامة جامعة إسلامية ، مجلة الكلمة ، السنة السادسة ، العدد 24 ، لبنان ، 2003 ، ص74.

30– رضا، «الملك فيصل ، العبرة بحياته ومماته " . . . (2) مرجع سابق، ص ص558–557 .

31– أحمد فهد الشوابكة ، محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية ، ط1 ، دار عمار للنشر والتوزيع ، الأردن ، 1989، ص253.

32– المرجع نفسه ' ص259 .

33– محب الدين، الخطيب " 'مذكرات محب الدين الخطيب'» مجلة الثقافة، س '3 ع13 ، الجزائر، فيفري/ مارس 1973 ، ص91 .

34– سليمان، موسى ، الحركة العربية ، 1924–1908 ، ط3 ، دار الكتاب العربي ، لبنان ' 1986 ص159

35– أمين، السعيد 'أسرار الثورة العربية ومأساة الشريف حسين ، دار النهار للنشر الكتاب ص 37 .

36– الريماوي » 'جمعية الجامعة » . . .مرجع سابق 'ص177.

OP CITE P 84 C.ERNEST–37

38– جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ط 5 ، ترجمة ناصر الدين الأسد–إحسان عباس ، بيروت ، 1978 ، ص ص 246–245.

39– محمد رشيد، رضا " 'الشريف حسين ملك الحجاز السابق وفاته والعبرة من ترجمته'» مجلة المنار، .م31 ،ج) 9 القاهرة، المحرم 1350 ه – يونيه 1931 م ،ص719.

40–أحمد إبراهيم العدوي ، رشيد رضا الإمام المجاهد ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر والترجمة ، مصر ، ص 240 .

41– الشوابكة 'مرجع سابق 'ص269.

42– أنيس، الأبيض،رشيد رضا تاريخ وسيرة، ط1 ، جروس برس، 1993 ، لبنان، ص 57 ، ص141 .

43– الشوابكة ، مرجع سابق ، ص272.

44– محمد رشيد، رضا، «الحقائق الجلية في المسألة العربية، مقالة للعبرة والتاريخ» ،مجلة المنار، م 22 ،ج) .6القاهرة ، 29 رمضان 1339 ه 6 – يونيو 1921 م ، ص442.

45–شكيب أرسلان ، السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة ، ط1 ، مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، 1983، ص ص 243–242.

46– رضا ، » الشريف حسين «. . .، مرجع سابق، ص . 720 ويبدو أن السلطان عبد الحميد كان يتخوف

دائما من الشريف حسين ، ولذلك أبقاه عنده في الأستانة.ذلك أن السلطان عبد الحميد كان يتوجس خيفة من الشريف حسين إبن علي، ويرى فيه رجلا ذا أطماع سياسية واسعة ، وأنه إذا ظفر بمنصب أمير مكة المكرمة فإنه لن يقنع بهذا المركز الرفيع ، بل أنه سيتطلع في قابل الأيام إلى حكم العرب أجمعين ثم إلى منصب الخلافة الإسلامية . انظر : عبد العزيز، الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، .ج) 2 د.ط(، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة، 2004 ،ص 268 .

47- رياض، الصمد ،العلاقات الدولية في القرن العشرين،ط3 ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،. د م ط د.ت ، ص ص 41 .

48- محمد رشيد، رضا، " رحلة الحجاز" (3)،مجلة المنار، م 19 ، ج) .9 القاهرة، 30 ربيع الآخر 1335 ه- 22فيفري 1917 م ، ص 567 .

49- محمد رشيد ،رضا ، «إلى إخواني الكرام مسلمي سوريا» ،مجلة المنا،م 17 ،ج) .12 القاهرة، سلخ ذي الحجة 1332 ه 18 – نوفمبر 1914 م (،ص ص958-956 .

50- محمد رشيد، رضا، " الجنسية التركية وعاقبة قتل نابغي العرب بسوريا» ،مجلة المنار ، م 19 ،ج2 القاهرة، 15 رمضان 1334 ه 15 – يوليو 1916 م ، ص 79 . وفي معرض تكذيبه لتهمة الخيانة التي ألصقها جمال باشا بالأحرار العرب أكد أن : '' الجرم الأكبر الذي يجمعهم وبه استحقوا العقاب هو أنهم من أذكياء العرب الذين يقولون بوجوب محافظة قومهم على لغتهم وأن يكون لهم حظ من مشاركة الحكومة في إدارة البلاد''. انظر :محمد رشيد، رضا،" جمال باشا السفاك» ، مجلة المنار، م 19 ، ج 2 القاهرة، 15 رمضان 1334 ه15 – يوليو 1916 م ، ص 119 .

51- محمد رشيد، رضا ، «كيف تنال الأمة حقوقها «، مجلة المنار،م 13 ،ج) .5 القاهرة، سلخ جمادي الأولى 1328ه – يونيو حزيران 1910 م ، ص ص363-352 :.

52- رضا، » الحقائق «. . . ، مرجع سابق، ص 450 .

53- الشرباصي ،رشيد رضا صاحب المنار عصره وحياته ومصادر ثقافته، دار الشروق ، مصر ،1970 ، ص153.

54- محمد رشيد، رضا، " خطبتنا السياسية في منى«، مجلة المنار، م 20 ، ج) .6 القاهرة، 30 ربيع الأول 1336ه 13 – يناير 1918 م ، ص286.

55- محمد رشيد، رضا، «آراء الخواص في المسألة العربية«، مجلة المنار، م 19 ، ج .3 سلخ شوال1334 ه 29 – أغسطس 1916 م ، ص ص167-165.

56- المرجع نفسه ، ص168.

57- يؤكد محمد رشيد رضا على ذلك بالقول : ''أيها المسلمون يجب أن تعلموا أن هذا العمل أعظم خدمة للإسلام في هذا الزمن .فإن الدولة العثمانية إن سلمت من السقوط وحفظ استقلالها لم يكن استقلال العرب في الحجاز وغيره مانعا من ذلك ولا من تعاضد العرب والترك مع حفظ حقوق كل منهم .وإن سقطت وفقدت استقلالها لم يكن هذا الاستقلال هو السبب فيه ولكنه يكون سببا لحفظ استقلال الحكم الإسلامي في أشرف بقع الإسلام.

.وبهذا يتبين لكم أن هذا العمل العظيم الذي قام به هذا الزعيم العظيم قد أنقذ الحرمين الشريفين وحولهما من هذا الخطر الجسيم ووضع أقوى أساس لحفظ الاستقلال الإسلامي بإنشاء دولة جديدة له". رضا، »خطبتنا «. . .مرجع سابق، ص ص287–286.

58– طارق، البشري ، الجامعة الدينية والجامعة الوطنية في الفكر السياسي، ط1 ، دارالشروق،القاهرة، 1998ص94.

59– طارق البشري، بين الإسلام و العروبة ، ط2 ، دار الشروق ، القاهرة ، 2005 ، ص26.

60– رضا ، » مدنية العرب » . . .مرجع سابق، ص 290 .

61– رضا، » الوحدة العربية » . . .مرجع سابق، ص 124 .

62– عبد الرحمن الكواكبي ، أم القرى ، مؤتمر النهضة الإسلامية الأول، ط1 ، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية ، سوريا ، 2002 ، ص 197 .

63– محمد رشيد، رضا ، «التركى والعرب" (2) ، مجلة المنار ، م 3 ، ج) .9 القاهرة، غرة صفر 1318 ه29 – ماي 1900 م (ص 195 .

64– رضا، » الحقائق الجلية في«. . .، مرجع سابق، ص448.

65– محب الدين،الخطيب ، " مذكرات محب الدين الخطيب «،مجلة الثقافة ، س 3 ، العدد 15 الجزائر، جوان 1973 ، ص ص89–88.

66– محمد رشيد ، رضا ، «رد جريدة القبلة على الحقائق الجلية في القضية العربية » مجلة المنار،م 22 ،ج .9 القاهرة، 30 محرم 1340 ه 2 – أكتوبر 1921 ، ص ص 709–706.

67– يقول رشيد رضا في معرض التشهير بالشريف حسين إن ابن حسين ابن علي وأولاده كانوا قد خدعوا السواد الأعظم من عرب سورية والعراق وكثيرا من غيرهم بما بنوه من دعاية المملكة العربية والوحدة العربية والخلافة العربية حتى خيلوا إليهم أنهم سيعيدون إلى هذه الأمة عصر هارون الرشيد ثم ظهر أن غاية سعيهم تحقيق أمنية الانجليز القديمة وهي إدخال جزيرة العرب وما اتصل بها من بلادهم في دائرة الإمبراطورية البريطانية المرنة على أن يسودهم فيها على قومهم ويسميهم ملوكا وخلفاء" . انظر: محمد رشيد، رضا، " الوهابيون والحجاز» ،مجلة المنار، م 25 ، ج10 القاهرة، 30 شعبان 1343 ه 25 – مارس 1925 م ، ص762.

68– العدوي، مرجع سابق، ص205 .

69– محمد رشيد، رضا، «الوثائق الرسمية للمسألة العربية» ،مجلة المنار، م 23 ، ج) .8 القاهرة، 29 صفر 1341ه 2 – أكتوبر 1922 م ، ص613.

70– هشام ، شرابي،المثقفون العرب والغرب عصر النهضة1875 .بيروت، 1991 ،ط4 ، دار النهار للنشر، ،ص128.

71– هناك مبالغة لدى الكثير من المؤرخين والدارسين للثورة العربية من حيث تصويرها وكأنها كانت السبب

الرئيس في سقوط الدولة العثمانية ، وبالتالي تحميل العرب المسؤولية التاريخية . والواقع أن سقوط الدولة العثمانية كان نتيجة طبيعية لسلسلة من العوامل كان من أبرزها :الاستبداد الداخلي ، الضعف العسكري ، سيطرة الإقطاع ، ضعف الاهتمام بالعلم. . .الخ.

72- يعلق رشيد رضا على هذه الدعوة بالقول : ''يا حسرة على لبنان ، كان متمتعا باستقلال عديم المثال فسلبته منه الأمم الحنون وجعلته بشر آلة لسلب استقلال سورية كلها وأبناؤه البررة لا يشعرون :فلا قومية ، ولا وطنية ولا سياسة ، ولا إدارة ، فأين ما كانوا يدعون '' . أنظر :محمد رشيد، رضا، " لبنان الكبير وطن مسيحي» ، .مجلة المنار، م 33 ، ج) 2 القاهرة، ذو الحجة 1351 ه-ابريل 1933 م ، ص156.

73- حسين ضناوي ،السيد رشيد رضا فكره ونضاله السياسي ، ط1 ، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر ، لبنان ، 1983 ، ص150.

74- محب الدين، الخطيب ، " مذكرات محب الدين الخطيب «،مجلة الثقافة س 2 ، ع12 ، الجزائر، جانفي 1973 ، ص92.